

العصرانيُّون العَقْلانِيُّون

العصرانيُّون العَقْلانِيُّون

* العصرانيون:

العصرانيون قوم قدّسوا العقل وقدموه على نصوص الكتاب والسنة، ودعوا إلى تطوير الشريعة، ومفاهيم الإسلام على طريقة العصرانيين عند الغرب، والعصرانيون يمثلون تيارًا عامًا لم تكتمل ملامحه بعد، ولم تكن اجتهادات رجاله واحدة، وإنما يشتركون في ملامح عامة وخصائص مشتركة عمومًا.

والعصرانيون ليسوا سواء، في منطلقاتهم وأهدافهم، وقد يلتقي معهم - في بعض المسائل - من ليس منهم ولا يوافقهم على كثير من غلوهم وجموحهم - ومنهم من ينتسب إلى التيار الإسلامي (د. محمد عمارة - فهمي هويدي - عبدالعزيز كامل) والكل قد خاض في مسائل شائكة مثل تجديد أصول الفقه، وموقفهم من السنة النبوية - والدعوة إلى وحدة الأديان، والكثيرون منهم دعوا إلى فصل الدين عن الدولة، ودأبوا على تزوير التاريخ الإسلامي، ويرحم اللّه شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال:

«الشرع يخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول» ويرحم اللّه من قال: «العقل كالدابة يوصلك إلى باب الملك ثم تدخل عليه بمطلق التسليم»، ولكن العصرانيون لم يعوا هذا».

* محمد عركون يُنكر أصول الإسلام ويتهم الأئمة ويدعو الماركسية أن تأخذ حظها في تقييم الإسلام والحكم عليه:

الدكتور محمد عركون؛ جزائري، من مواليد ١٩٢٨. أتم دراسته

باريس ١٩٥٥، وحصل على الدكتوراه من السربون سنة ١٩٦٩ حول الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري، وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية، معظم مؤلفاته بالفرنسية.

وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام ـ والقرآن والسنة بالمقاييس الغربية، وبالاستفادة من المعطيات التي خلّفها ماركس ونيتشه وغيرهما.

ويعتبر الدين الذي ينتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركية التي خلّفها الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة. والرجل أمة وحده في منهجه وحربه الشرسة التي تحتاج إلى حنكة ومتابعة.

والتسليم بالدين ـ بل حتى التسليم باللَّه تعالى نفسه أمر يحتاج إلى دليل عند محمد عركون، لا يملكه «النصوصيون المتخلفون»!! كمالك وابن تيمية وابن عباس رضي الله عنهم، بل إن ذلك ينقصه الدليل الذي يحاول أن يأتي به اليساريون «المسلمون» ويقدمه لنا «المجدد» محمد عركون في كتابه «الإسلام ـ الأمس والغد: (ص١٤٠) وما بعدها».

«إن الفكر الإسلامي لا يمكنه أن يتهرب طويلاً (!!) إن فعل الإيمان «الأرثوذكسي»[١] المحتسب دومًا يقوم على التأكيد بأن الدين يرتكز على الوحي الذي أنزله اللَّه للناس بواسطة الأنبياء لكن الواقع العلمي الحديث ينزع إلى فرض فكرة أن الدين كله من المجتمع، اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ بذاته بحاجة إلى شهادة الإنسان له (!!)»[٢].

وهكذا فلا قرآن ولا أنبياء ولا مقدسات، بل محاولة تتمسّح بالمنهجية والعقل من أجل إلغاء الدين والقضاء عليه ﴿ **والله متم نوره** ﴾[٣].

---

(١) يقصد السني الملتزم بالنصوص القرآنية المقدس لها فيما أظن.

(٢) «الإسلام ـ الأمس والغد» لمحمد عركون (ص١٤٠) وما بعدها.

(٣) «اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام» (ص٣٨ ـ ٣٩).

* اتهامه للأئمة:

□ يقول «المجدد!!» محمد عركون [القدسي والثقافي والمتغير في مجلة الفكر العربي المعاصر العدد ٣٩]:

«إن أشكال الإسلام المدعوة مستقيمة أو أرثوذكسية (هكذا واللَّه) كالاتجاه السني والشيعي والخارجي (؟!) الذي يدّعي كل منها أنه يحتكر الإسلام الصحيح دون غيره، هي عبارة عن انتقاءات اعتباطية(!!) واستخدامات أيديولوجية لمجموعة من الأفكار والعقائد والممارسات المقدمة والمصورة على أساس أنها دينية محضة».

□ يقول الأستاذ عبدالسلام البسيوني معلقًا:

«فالمسألة عنده ليست اجتهاداً بل اعتباطًا وانتقاء لأيدلوجيات، ثم إضفاء الصبغة الدينية عليها، فأي أمة نحن (؟!!).

□ ويقول مسيلمة(١) السابق نفسه (الهدى المغربية ـ وقفات مع محمد عركون):

«أصبحنا من أجل التفكير في تاريخنا لا نجد في متناول أيدينا سوى (سيدي خليل) عندنا، وابن تيمية عند الحنبليين، وبعض المفكرين القانونيين عند الحنفيين، وبالتالي إطار إسلامي، وتقاليد إسلامية خضعت لعملية كبيرة من التفقير والتخسيس»(٢) . .

□ ويلمح عركون إلى أن الماركسية لم تأخذ حظها في تقييم الإسلام والحكم عليه!! وأنها ينبغي أن تكون منطلقًا لعلمنة الإسلام فيقول:

«نلاحظ أن الماركسية لم تُعرف بصورتها الإيجابية حتى الآن، لا في

---

(١) يعني محمد عركون.

(٢) «اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام» (ص٤٣).

الفكر العربي المعاصر، ولا في الفكر الإسلامي بشكل عام، نفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص نقد القيم الذي قام به «نيتشه» تجاه المسيحية. وهذا النقد قابل للتطبيق على الإسلام (؟!) وإذا ما نظرنا للتاريخ بكليته ضمن هذا المنظور، فإنه يصبح ممكنًا تعبيد الطريق وتمهيده نحو ممارسة علمانية للإسلام. يمكن للعلمنة عندئذ أن تنتشر في المجتمعات التي اتخذت الإسلام دينًا»[١].

* تصريحه بإنكار أصول الإسلام:

▫ يقول الأستاذ عبدالسلام البسيوني: «ومن اللافت للنظر أيضًا إيهامهم للقارئ أن الإسلام سلّم بكثير من التقاليد الجاهلية المتخلّفة وقبلها، لذلك فهم يرفضونها.. وهذا واضح في كلام حسين أحمد أمين وفي كلام محمد عركون في أكثر من موضع حين فسّر بعض القرآن الكريم بطريقته الخاصة، واعتبر وضع المرأة وقضايا الجنس والميراث من الجاهلية، ويطالب بإعادة النظر فيها بمعايير جديدة تخالف المعايير الجاهلية التي أقرّها القرآن (؟!!). يقول في حديث له بمجلة «لونوفيل أوبزرفاتور ٧/ ٢/ ١٩٨٦»:

«إن التفسير يبقى دائمًا جائزًا، على شرط أن يُعاد التفكير في مسألة التنزيل على ضوء التاريخانية (؟!) الحجاب مثلاً - ككل ما يمت إلى الجنس، وإلى وضع المرأة في الإسلام - ينتمي إلى قانون عرقي سابق على الإسلام، الإسلام صادَقَ على تقاليد قديمة متعلقة بأسس قبله، وأعطاها بُعدًا مقدسًا (؟!) ويتعلّق الأمراليوم بإعادة التفكير في هذه المفاهيم في ضوء التاريخ، وللأسف فإن هذا العمل في بداية الإسلام يحكم سيطرة الأيديولوجيا».

---

(١) «تاريخية الفكر العربي الإسلامي» لمحمد عركون - مركز الإنماء القومي ١٩٨٦.

*** محمد عركون وقراءة القرآن قراءة نقدية من خلال منظور نيتشه، وفرويد، وكارل ماركس:**

□ يقول هذا الكذّاب الأشر:

«إن إعادة قراءة القرآن من جديد قراءة نقدية متخصصة، لا قراءة أيديولوجية تقليدية[1] هي الخطوة الأولى التي لا بد منها من أجل فهم المناخ الفكري والنفسي للشخصية العربية الإسلامية. إن هذه القراءة مضطرة لأن نأخذ في الاعتبار كل المسار الفلسفي والنقدي الذي قطعه الفكر الغربي، ابتداءً من نيتشه، وانتهاء بفرويد مرورًا بطبيعة الحال بكارل ماركس»[2].

*** المفكر المستنير الطاعن في الثوابت الدينية الماركسي حسين أحمد أمين مؤلف كتاب «دليل المسلم الحزين»:**

□ **الرسول ليس معصومًا عند حسين أحمد أمين:**

الرسول ﷺ في نظره ليس معصومًا إلا في نقله للقرآن فقط، وبهذا المفهوم يلغي السنة تمامًا.

□ يقول هذا المستنير: «ومع أن رسول اللّه ﷺ لم يدّعِ قط أنه معصوم من الخطأ إلا حين يملي أو يتلو آيات ربه (!!) بل ونبه القرآن إلى أخطاء بدرت منه؛ فقد افترض أنصار الالتزام بالسنة (يقصد جمهور أهل السنة والجماعة ابتداءً من الصحابة حتى أيامنا هذه) أن العناية الإلهية إنما كانت توجه كل عمل أتى به وكل كلمة صدرت عنه، منذ بعثه اللّه رسولاً إلى قومه، إلى أن مات، ومن ثم فقد رأوا أن أحكام السنة ملزمة في الحالات

---

(١) «اليسار الإسلامي» (ص٣٩).

(٢) «اليسار الإسلامي» (ص٤١ ـ ٤٢).

التي لم يرد بصددها نص قرآني»[١] .

* اتهامه للأئمة :

«يقول هذا المستنير الماركسي (الدوحة - مارس ٨٣): «كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم (!!) ويُراعون في وضعهم الأحكام مراعاتها للظروف المتغيرة في مجتمعاتهم، غير أنهم سلكوا مسلكًا خاطئًا [لاحظ المصادرة الكاملة للنيات والحكم عليها بتعمد الخطيئة لا الخطأ] إذ صاغوا آراءهم المبتدعة في قالب أحاديث نسبوها إلى النبي ﷺ واختلقوا لها الأسانيد الكاملة حتى تلقى قبولاً من الأمة» .

وهكذا بجرة قلم خاطئة تسقط المدارس الفقهية والحديثية، وعلوم الجرح والتعديل، بل وسائر العلوم التي قامت على أساس الإسناد كفقه اللغة العربية وغيره .

□ ويقول المستنير نفسه في كتابه «دليل المسلم الحزين» (ص٤٥):

«لجأ الفقهاء والعلماء إلى تأييد كل رأي يرونه صالحًا، ومرغوبًا فيه؛ فهم يصنعون أو (يفبركون الأحكام ويختلقونها) بحديث يرفعونه إلى النبي ﷺ»[٢] .

* إنكار حسين أحمد أمين لكثير من الأحاديث الصحيحة في كتابه «دليل المسلم الحزين» :

[أنكر حسين أحمد أمين كثيرًا من الأحاديث الصحيحة في كتابه «دليل

(١) يقصد قراءة المسلم المسلِّم بالنص ولزوم اتباعه على غرار من فسّر القرآن ابتداءً من رسول الله ﷺ وابن عباس وانتهاءً بالمسلم المؤمن بحجية القرآن الكريم.

(٢) انظر «جولة في فكر محمد عركون» (ص٢٦٦)، و«اليسار الإسلامي» (ص٣٣).

المسلم الحزين»، وراح يتهم الفقهاء بوضع الأحاديث النبوية، ويهاجم رواة الحديث بشدة، وما سلم من هجومه أحد حتى بعض الصحابة ﭫ[١].

ومن أقواله في كتابه: «وكيف يمكن لنا انتقاء الصحيح من الحديث؟ إنه لمن السهل علينا تبين كذب الأحاديث التي اختلقها أتباع الفرق السياسية، كالشيعة والخوارج والأمويين... وكذلك من السهل اكتشاف كذب الأحاديث التي تتنبأ بوصف ليوم القيامة تأباه عقولنا، أو كل ما ناقض المنطق ومجّه التفكير السليم..».. وذهب يُنكر بعض الأحاديث الصحيحة، مردداً أقوال من سبقه من المبتدعة والحاقدين.

يقول ساخراً من حديث رواه أنس بن مالك ﭬ، قال: «قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**». يسخر من الحديث؛ لأنه لا يخضع لعقله فيقول: «كان انتقاء البخاري للأحاديث الصحيحة على أساس صحة السند لا المتن، فالإسناد عنده وعند غيره هو «قوائم الحديث» إن سقط سقط، وإن صحّ السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن»[٢]][٣].

* «البيان في تفسير القرآن تفسيراً ماركسياً»:

يقوم المستنير حسين أحمد أمين بتفسير القرآن الكريم تفسيراً ماركسيًّا على حلقات في مجلة «العربي» تحت عنوان: «البيان في تفسير القرآن»، ومما جاء في العدد (٣٥١) في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨].

---

(١) انظر «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين (ص٤٣ ـ ٦٣).
(٢) «دليل المسلم الحزين» (ص٦٠، ٥٩).
(٣) «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب» (ص٢٢٦ ـ ٢٢٧).

يقرر أن الماركسية مع الإسلام، ويُسقط من روحها عليه ليثبت أنها لا تفارقه كما يهاجم ـ كعادة الشيوعيين ـ الرأسمالية فيقول: «لقد تنبأ كارل ماركس في القرن الماضي بأنه من شأن النظام الرأسمالي أن يزيد الفجوة بين مستوي معيشة الأغنياء ومستوى معيشة الفقراء»، إلى أن يقول: «ومع ذلك فإن نبوءة كارل ماركس بدأ يظهر صدقها، واحتمال تحققها في مجال آخر ما كان هو نفسه ليتوقعه أو يحلم به، ألا وهو اتساع الفجوة بين مستوى المعيشة في الدول الغنية والدول الفقيرة..» إلى آخر التحليل الشيوعي الذي يريد أن يفسر به الآية (!!)[1].

* إنكاره لأصول الإسلام:

□ «يقول حسين أحمد أمين، نابذًا الاعتقاد بالقدر ـ ويترتب عليه نبذ القرآن الكريم نفسه ـ ومحاولاً القول بأن الاعتقاد بالقدر عقيدة بدائية جاءت مع حركة التدرج الإنساني والنمو الحضاري (جريدة الشعب المصرية ـ ديسمبر ٨٧): «ثمة مواقف عقلية هي نتاج منطقي لطبيعة حياة البدوي، فرضت نفسها على أهل الحضر والريف من شعوب الأقطار التي فتحتها جيوش الإسلام، رغم مخالفتها للمواقف العقلية الأساسية لأفراد المجتمعات الزراعية وسكان المدن، خذ لذلك مثلاً: نزعة الإيمان بالقضاء والقدر. إنه لمن السهل علينا أن نتبيّن جذور هذه النزعة وأسبابها عند البدوي، فحياة البدوي تعتمد اعتمادًا يكاد يكون كليًّا على الماء والكلأ، يجد في الغيث نجاة، وفي الجفاف تهلكة، وكلاهما لا سلطان له عليه ولا حيلة له فيه».

«فهو يفسر نشأة عقيدة القدر ويردّها إلى أسباب اقتصادية على طريقة ماركس، فهي من نتاج البيئة الصحراوية في الحجاز، ثم هو يقرر أن هذه

---

(١) «اليسار الإسلامي» (٤٨).

العقيدة البدوية قد انتقلت إلى الإسلام (؟!) مع تغير طفيف، «إذ حلت فيه» ـ كما يقول ـ (فكرة اللَّه محل الدهر)»[1].

ويقرر حسين أحمد أمين أن الحجاب «وهم صنعه الفرس والأتراك، وليس في القرآن نص يُحرِّم سفور المرأة أو يعاقب عليه»، و«أن الرجال يتمسّكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة فينفّسوا عن قهرهم سياسيًّا واجتماعيًّا».

ويؤول حسين أحمد أمين آية الحجاب تأويلاً بعيدًا عندما يقول: «بالنسبة للحجاب الذي فُرِض في المدينة حيث كان النساء يلقين من المتسكعين من شباب المدينة كل مضايقة وعبث كلما خرجن وحدهن إلى الخلاء فنزلت آية ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ**﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وذلك حتى يميز الشبان بين المحصنات وغير المحصنات»[2].

* موقفه من الفقه والفقهاء:

هاجم حسين أحمد أمين الفقهاء وأهل الحديث معًا فقال: «لقد شاءت المعارضة، التي بات لها الغلبة في الدولة أن ترجع كافة الأحكام الشرعية إلى سند من القرآن أو السنة، وأبت الأخذ بالرأي والاجتهاد»، وذلك في القرنين الثاني والثالث من الهجرة. ثم يقول: «وإذا كانت الأحاديث المتوفرة آنذاك قليلة ولا تكفي، لجأ القوم إلى الاختلاق، وقد عظم هذا الاختلاق للأحاديث كلما زاد إصرار العلماء على الاستناد إلى الحديث في بيان

(١) «اليسار الإسلامي» (ص٥١).

(٢) «موقف القرآن من حجاب المرأة» مقال لحسين أحمد أمين ـ جريدة الأهالي القاهرية ٢٨/ ١١/ ١٩٨٤م عن كتاب «غزو من الداخل» (ص٥٥)، و«العصرانيون» (ص٢٦٣).

الأحكام، أي أن العرض زاد بزيادة الطلب»[1] .

❑ وقد اتهم حسين أحمد أمين بني أمية بتشجيع الفقهاء لوضع الأحاديث، ومنها حديث: «**لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد**» ليصرفوا الناس عن الحج أثناء سيطرة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه على الحجاز، وذلك بزيارة مسجد الصخرة الذي بناه عبدالملك بن مروان في القدس[2] .

والاتهامات ساقطة من أساسها، وتافهة لا تنم إلا عن ضحالة فكر وتبعية ذليلة لمستشرق حاقد وهذا الاتهام مسروق من أستاذه جولد زيهر»[3] .

مع أن الحديث رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة، ومسلم في كتاب الحج».

❑ ولحسين أحمد أمين فتوى عجيبة في حد السرقة، عندما يقول: «لقد كان الاعتداء على الساري في الصحراء بسرقة ناقته بما تحمل من ماء وغذاء وخيمة وسلاح في مصاف قتله؛ لذلك كان من المهم للغاية أن تقرر الشريعة عقوبة جازمة رادعة بالغة الشدة لجريمة السرقة في هذا المجتمع»[4] .

❑ يمجد الحجاج ويُجهِّل عمر بن عبدالعزيز.

❑ قال حسين أحمد أمين عن الحجاج: «إنه أعظم الإداريين في العالم»[5] .

ومع هذا فإنه يصب جام غضبه على إمام الهدى عمر بن عبدالعزيز،

---

(١) «دليل المسلم الحزين» (ص٦٢).

(٢) المصدر السابق (ص٢١ ـ ٢٢).

(٣) «العصرانيون» (ص٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٤) «دليل المسلم الحزين» (ص١٤١) ـ طبعة مدبولي/ نقلاً عن «إسلام آخر زمن» للأستاذ منذر الأسعد (ص٨٤) ـ دار المعراج.

(٥) «دليل المسلم الحزين» (ص٢٦٩).

فيرى أنه ساهم بجهله في الشئون السياسية في تدهور أحوال الدولة الأموية ثم سقوطها، ثم يقول: «ولم تجلب سياسته المالية والإدارية غير خراب الدولة»[١] اللَّهم إني أشهدك أني أبغض هذا الماركسي الزنديق.

*** حسين أحمد أمين يصف الفتوحات الإسلامية بأنها استعمار:**

يعتبر حسين أحمد أمين أن الفتوحات الإسلامية هي نوع من الاستعمار كالاستعمار الغربي لبلاد المسلمين فيقول:

«إن الدول الإسلامية، كانت في عصر من العصور على وشك التهام القارة الأوربية ـ بعد التهامها أقطار عدة في أفريقيا وآسيا.

«وقد يحتج بعض المسلمين بأن الاستعمار الإسلامي!!! لدولة أسبانيا كان بناءً وفي خدمة التمدين والعمران، ولم يتخذ شكل النهب والسلب، الذي اتخذه الاستعمار الأوربي لدول آسيوية وأفريقية.

غير أن الاستعمار الأوربي لأمريكا الشمالية وأستراليا كان هو الآخر بنّاء، وفي خدمة التمدين والعمران، في حين لم يجلب الاستعمار العثماني (!!!) للبلقان غير الخراب»[٢].

ولست أدري كيف يستوي ـ عند مسلم ـ نشر دين اللَّه وإقامة العدل بأروع صورة بين البشر مع غزو الأوربيين الذي قام على النهب والاستنزاف. ولذلك فهو يهاجم الكاتب «جوستاف لوبون» الذي قال: «لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب»[٣].

---

(١) «دليل المسلم الحزين» (ص٢٠٣)، و«إسلام آخر زمن» (ص٦٩ ـ ٧٠).

(٢) «دليل المسلم الحزين» (ص١٧٢).

(٣) «إسلام آخر زمن» لمنذر الأسعد (ص٦٦) ـ نظر مكتبة مدبولي (١٩٨٧)، نقلاً عن دليل المسلم الحزين.

*** محمد فتحي عثمان مؤلف كتاب «الفكر الإسلامي والتطور» يدعو إلى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات وإباحة الاختلاط وترك الحجاب:**

كتاب «الفكر الإسلامي والتطور» كتاب للدكتور محمد فتحي عثمان. والكتاب كما يقول صاحبه: «محاولة لمناقشة قابلية الإسلام في أصوله للتطور، ورصيد المسلمين التاريخي في التطور، وللواقع المعاصر واحتياجنا للوعي بحقيقة التطور عندنا وعند غيرنا»[١].

وتظهر خلفية الكتاب الفكرية فيما يورده الكاتب من أمثلة لتطور الفكر الديمقراطي في الغرب، والفكر الاشتراكي، وتعدد مدارسه وآرائه.. ثم يتساءل: «لماذا يكتب على الفكر الإسلامي وحده الجمود؟!!»[٢].

ويرى الكاتب «أن التطور مسألة حتمية في كل شيء، وما دام الدين صالحًا لكل زمان ومكان، فهذا لا يعني أن يكون تطبيقًا واحدًا بعينه للدين، صالح لكل زمان ومكان.. ولا تصح التجربة المثالية للدين في عصر الخلفاء الراشدين.. إنها تجربة مثالية بالنسب لظروف الخلفاء الراشدين السائدة في وقتهم، بالنسبة لتفكيرهم وزمانهم وأقوامهم»، هكذا يدّعون!

ويرى الكاتب أيضًا: أنه يستلزم ترجمة جديدة، وإعادة تقدير للحقائق الأساسية للعقيدة، وإذا كان الدين يجب أن ينقح كل مائة سنة، ففتحي عثمان يقول: «إنه يجب أن نصحح منهجنا للدين كل سنة وكل شهر، وكل يوم وكل لحظة؛ لأن المعرفة لا نهاية لآفاقها، ولأن التقدم الإنساني لا توقف لسيره»[٣].

(١، ٢) «الفكر الإسلامي والتطور» للدكتور محمد فتحي عثمان (ص٧٥، ٣٩) ط٢ الكويت/ الدار الكويتية (١٩٦٩م).

(٣) السابق (ص٣٧) وقول فتحي عثمان يذكرنا بقول هولد هايم أحد أحبار اليهود، عندما يتحدث عن ضرورة تطور تعاليم التلمود حسب ما يجد من معارف عصره، وبفكرة النقد التأريخي للأناجيل عند العصرانيين من النصارى.

□ وقد تأثر مؤلف كتاب «الفكر الإسلامي وتطوره» بما كتبه المستشرقون، حيث تعرض لدراسة تطوير الشريعة الإسلامية وتحديد منزلة الفقه الإسلامي، وما ينبغي أن نفعله تجاه القوانين الوضعية[١] .

لقد بنى المؤلف كتابه على وجوب «الاعتماد على العقل الإنساني في الإقناع والاعتقاد، فالدين يمثل الحكمة الإلهية المحيطة بما فوق إمكان العقل.. ولكن كيف أفهم الدين وأميز ما يقال عنه بدون عقل؟! أنا لو خيرت بين ديني وعقلي لآثرت عقلي لأنني قد أصبح به متدينًا، لكني لو فقدته فسأفقد ديني معه؛ لأن الدين قد أسقط الخطاب عن المجانين»[٢] .

ويقول: «نحن متخلفون ولا شك عن الفكر العالمي وتجارب الأنظمة العالمية، نحن متخلفون في الفقه الدستوري مثلاً»[٣] .

* وفي أقوال الدكتور فتحي عثمان مغالطات نتوقف عند بعضها :

- فعمل العقل في الفهم والتلقي حسب الشروط التي أوجبها الشرع عليه، سواء اهتدى العقل بها أم تأثر بالثقافات المخالفة للدين فإن الدين لا يضره في كلا الحالين شيء.

- والعقل الإنساني هو الطريق إلى تلقي وفهم الدين وتطبيقه وهو مقيد بشروط مجمع عليها عند علماء الأمة، كالعلم بالعربية وبمقاصد الشريعة.

- وقوله: «أنا لو خيرت بين ديني وعقلي لآثرت عقلي؛ لأنني قد أصبح به متدينًا» والسؤال: «كيف يختار ترك دينه ثم يكون متدينًا؟! وأي طريق يمكن أن يصل به إلى الحق إذا ترك الدين؟!»[٤] .

---

(١) انظر: «المستشرقون» د. عابد السفياني (ص١٠٥) وما بعدها.

(٢، ٣) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٣٧ ـ ٣٨).

(٤) انظر مناقشة مفصلة له (ص١٠٩ ـ ١١٥) من كتاب «المستشرقون» للدكتور عابد السفياني.

❑ ويدعو فتحي عثمان إلى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات، وإلى الاختلاط وترك الحجاب، والضابط لذلك كله هو الظروف وواقع العصر والبيئة.

«ويعتبر أن قضية المرأة وأشباهها وثيقة الارتباط بواقع البيئة الاجتماعية، والمجتمع الواحد يختلف من زمن لآخر.. ولذلك يجب ألا يحمّل (الدين) عبء هذه الفوارق الطبيعية الحتمية، بل أولى للجميع أن ينسبوا هذه الأحكام الاجتهادية لواقع العصر والبيئة»[١].

وهذه آراء جريئة في تخطي النصوص القطعية في قضايا التعدد والطلاق، وللإسلام هديه فيما شرع.

ويرى محمد فتحي عثمان أن الخلافة الإسلامية كانت صورة تاريخية، ولم تعش طويلاً، فعلى المسلمين ألا يفكروا فيها مرة أخرى[٢].

ويقول: «واليسار المسلم يتمسك بالديمقراطية، إذ هي حكم اللَّه في المصالح والعلاقات الإنسانية، حيث لا يكون النص الإلهي الملزم القاطع»[٣].

❑ ويدعو الدكتور فتحي إلى ما يسميه الاختلاط المأمون؛ لأن المجتمع الذي يلتقي فيه الرجال والنساء في ظروف طبيعية هادئة محكمة، لن يغدو مثل هذا اللقاء قارعة تثير الأعصاب، إذ سيألف الرجل رؤية المرأة ومحادثة المرأة، وستألف المرأة بدورها الرجل.. فيضيق مجال الانحراف والشذوذ، وتتجمع لدى الجنسين خبرات وحصانات وتجارب»[٤].

---

(١) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٢٢٢).

(٢) «مجلة العرب» العدد (٢٦٧) (ص١٨) ـ محمد فتحي عثمان.

(٣) «مجلة المسلم المعاصر» ـ محمد فتحي عثمان ـ العدد الافتتاحي.

(٤) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٢٠٤).

▭ وواقع الغرب المزري في الاختلاط ينقض هذا الرأي.

ويوافق محمد فتحي عثمان أستاذه عبدالرزاق السنهوري ومن قبله (جولد زيهر) فيقول: «الفقه الإسلامي هو من عمل الفقهاء، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدني، وقد صنعوه فقهًا صحيحًا، فالصياغة الفقهية وأساليب التفكير القانوني واضحة فيه وظاهرة»(١) .

والغاية من كلام السنهوري وإقرار تلميذه له أن يخضع الفقه الإسلامي لإشراف القانون الوضعي ويكيف نفسه حسب ما يقتضيه ذلك الخضوع، وقد حكم عليه السنهوري حكمًا صارمًا بقوله: «وحيث يحتاج الفقه الإسلامي إلى التطور يتطور، وحيث يستطيع أن يجاري مدنية العصر يتبقى على حاله دون تغيير، وهو في الحالتين فقه إسلامي خالص لم تتداخله عوامل أجنبية فتخرجه من أصله»، و«حينئذ يتجدد شباب هذا الفقه وتدب فيه عوامل التطور فيعود كما كان فقهًا صالحًا للتطبيق المباشر مسايرًا لروح العصر»(٢) .

وقول السنهوري وتلميذه غير صحيح فالفقه الإسلامي يخالف الفقه الروماني في طبيعته وفي أغراضه.

* **التبعية للغرب:**

التبعية للغرب واضحة في فكر فتحي عثمان فهو يرى تقدم القوانين الأجنبية منذ أقدم العصور.

▭ يقول فتحي عثمان: «وعلينا ألا نتطرف في التنكر لأنظمة مرّت بمراحل تقدمية كبرى في الفكر والتطبيق، قبل أن نتطور بثروتنا الفقهية التي تكدس عليها غبار القرون من التعطيل والتجميد»(٣) .

---

(١) المصدر السابق (ص٣٩). (٢) المصدر السابق (ص٣٠).

(٣) «الفكر الإسلامي والتطور».

ولنا أن نسأله عن هذا المراحل التقدمية.

يقرر البحث العلمي أن مراحل القانون الوضعي تبدأ بقانون «حمورابي» وقانون« مانو» وقانون «أثينا» والقانون «الروماني» والقانون «الكنسي الأوربي» مأخوذ من القانون الروماني، ومما شرعه الرهبان، ثم قانون نابليون، وهذه هي المراحل التقدمية الكبرى في الفكر والتطبيق عند المؤلف»[١].

*** محمد عابد الجابري وإنكار الوحي:**

- «يرى الدكتور محمد عابد الجابري: أن الوحي سلطة مرجعية «تضايق الحاضر، وتنافس المستقبل والجديد». فهو ينكر أن يكون هنالك وحي، وإن آمن به، فهو يعتبره وليد زمانه، أي هو جزء من التاريخ أو تجربة تاريخية»[٢].

*** محمود الشرقاوي مؤلف كتاب «التطور وروح الشريعة» يدعو إلى إباحة الفوائد وتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات:**

❑ «محمود الشرقاوي: الذي جعل عنوان أحد كتبه «التطور وروح الشريعة الإسلامية» قرر فيه أن الإسلام دين لين واسع الأفق، نستطيع أن نوفق بين روحه، وبين كل مظهر من مظاهر الحضارة، ومن ثم يقترح بعض الإصلاحات في مجال المرأة من تقييد للطلاق، ومنع تعدد الزوجات. وفي مجال الاقتصاد يقترح إباحة الفائدة في البنوك..»[٣].

---

(١) «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب» لمحمد حامد الناصر (ص٢٥٥) - مكتبة الكوثر.

(٢) «الخطاب العربي المعاصر» لمحمد عابد الجابري (ص٥٥ - ٥٦) نقلاً عن ظاهرة اليسار الإسلامي (ص١٣٢).

(٣) «التطور وروح الشريعة» لمحمود الشرقاوي (ص١٦٢، ٢٣٢، ٣٠٩) - بيروت - المكتبة العصرية ١٩٦٥.

*** الشيخ عبدالله العلايلي مفتي جبل لبنان سابقًا يعدد مجموعة من الأخطاء ـ بزعمه ـ مثل: الرجم، وحرمة التعامل المصرفي، وحرمة الزواج المختلط بين المسلمين والكتابيين رجالهم ونسائهم!!!:**

يقدم الشيخ عبدالله العلايلي مفتي جبل لبنان سابقًا في كتابه «أين الخطأ» مجموعة من الأخطاء يريد تصحيحها، مثل إباحة التعامل المصرفي، وأنه لا رجم في الإسلام، ولا قطع ولا جلد إلا بعد معاودة الجريمة وتكرارها، وأن الزواج المختلط بين المسلمين والكتابيين رجالهم ونسائهم حلال شرعًا»[1] .

*** ومفتي!!! ألا قاتلك الله من شيخ سوء:**

يرى الشيخ عبدالله العلايلي أن إقامة الحدود لا تتم إلا في حال الإصرار، أي المعاودة تكرارًا ومرارًا، إذ أن آخر الدواء الكي.. وبلغ من استهزائه بالحدود الشرعية أن قال: «إن إنزال الحد لا يتفق مع روح القرآن الذي جعل القصاص صيانة للحياة، وإشاعة للأمن العام، وليس لجعل المجتمع مجموعة مشوهين: هذا مقطوع اليد، والآخر مقطوع الرجل والآخر مفقوء العين، أو مصلوم الأذن، أو مجدوع الأنف»[2] .

أما الرجم: فيقول فيه بمذهب الخوارج: «لا رجم في الإسلام كما هو مذهب الخوارج عامة، ومنهم من يعتد بخلافه فقهيًا.. على أن ما شاع من قول بالرجم يعتمد على طائفة من الأحاديث لم ترتفع عن درجة الحسن، ومنها الحديث المتعلق بماعز بن مالك، والحديث المتعلق بالغامدية الأزدية[3] .

---

(١) «أين الخطأ» لعبدالله العلايلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت/ ١٩٧٨م.

(٢) المصدر السابق (ص٧٩ ـ ٨٠).

(٣) المصدر السابق (ص٨٧).

ثم يقول: «ولا يتسنى لزاعم متزمت اتهامي بأني أنكرت نصًا من القرآن؛ لأني جعلته أقسى العقوبات الزواجر، وأقصى الروادع، التي يلجأ إليها، وذلك على نحو من التأويل المقبول الذي لا يحمّل النص ما لا يحتمل»[١].

ثم يقول: «ومهما يكن فالرأي عندي في الحدود مطلقًا أنها في الشريعة العملية ليست مقصودة بأعيانها، بل بغاياتها، ولا يلجأ إليها إلا عند اليأس مما عداها»[٢].

* فهمي هويدي: «الحق أحب إلينا منه»:

«كتابه مواطنون لا ذميون»

مع أن له مواقف مشهورة في الذود عن الإسلام إلاّ أن له سقطات شنيعة لا يجوز بحال من الأحوال السكوت عنها.

فهو يعتبر أن الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة عبادة لهذه النصوص، ويصف أن العقول التي تتعلق بالنصوص قد تعطلت وأن هذه «وثنية جديدة» ذلك أن الوثنية ليست عبادة الأصنام فقط، ولكن وثنية هذا الزمان صارت تتمثل في عبادة القوالب والرموز، وفي عبادة النصوص والطقوس»[٢].

لقد تجرأ على رفض النصوص الشرعية، واتهم من يرجع إليها بالجمود والوثنية، اللَّهم لطفك وغفرانك.

* مواطنون لا ذميون:

أكثر فهمي هويدي من الحديث حول أهل الذمة، وأظهر أن الأحكام المضروبة عليهم والمعروفة باسم «أحكام أهل الذمة» قد كانت لظروف خلت،

---

(١) المصدر السابق (ص٩١، ٨٩).

(٢) مجلة العدد (٢٣٥) كانون الثاني ١٩٧٨، و«العصرانيون» (ص١٧٨).

وأن تطور العصر يرفضها. وممن تصدّى لهذه المسألة وخصص لها كتابًا: فهمي هويدي بعنوان «مواطنون لا ذميون»[١] نقتطف منه بعض الفقرات.

☐ يقول في فصل «ذميون.. لا يزالون»؟:

«إن تعبير أهل الذمة وإن استخدم في أحاديث النبي وعهوده إلا أنه كان جزءًا من لغة الخطاب في تعامل القبائل العربية قبل الإسلام، إذ كانت عقود الذمّة والأمانة هي صيغة التعايش التي تعارف عليها عرب الجاهلية..».

«أي أننا نقف في حقيقة الأمر، في مواجهة صيغة لا تستند إلى نص قرآني، واستخدامها في السنّة النبوية كان من قبيل الوصف لا التعريف، الأمر الذي لا يصنفه في أي من درجات الحكم الشرعي الملزم، بالإضافة إلى ذلك فإن الوصف.. وإن لم يكن الوحيد الذي استخدم في خطاب الآخرين، إلا أنه كان تعبيرًا عن حالة «تعاهدية» تعارف عليها عرب الجاهلية في تنظيم علاقات القبائل والأفراد، استمر إلى ما بعد الإسلام ضمن ما أخذ به من تقاليد وأعراف»[٢] .

☐ وتحت خضوع شديد لضغط الواقع يقول:

«وبعد هذا وذاك أليس غريبًا أن يجيز الفقهاء، أن يخوض المسلمون الحرب دفاعًا عن «أهل ذمتهم»[٣] ، ثم يحجب البعض عن هؤلاء حق التصويت في انتخابات مجلس الشورى مثلاً؟!». ثم يقول: «أما تعبير أهل الذمة، فلا نرى وجهًا للالتزام به، إزاء متغيرات حدثت،.. وإذا كان التعبير قد استخدم في الأحاديث النبوية، فإن استخدامه كان من قبيل الوصف، وليس التعريف، فضلاً عن أنه كان بمثابة استخدام للغة ومفردات وصياغات

---

(١) «مواطنون لاذميون» لفهمي هويدي / دار الشروق ١٤٠٥هـ.

(٢) فصل «ذميون لا يزالون؟» (ص١١٠) وما بعدها.

(٣) السابق (ص١٢٤، ١٢٥).

سادت في جزيرة العرب، قبل الإسلام، ويبقى مع ذلك أن هذا الوصف «تاريخيًّا»، لا يشترط الإصرار عليه دائمًا»[(١)] .

☐ فالكاتب يحاول إلغاء الأحكام بلا دليل، إلا زعمه أن ذلك أمر تاريخي فقط، وكأن الاجتهاد في الإسلام تحول إلى لعب أطفال، أو خيال كتاب، وأوهام مبتدعة.

☐ وفي فصل «الجزية. . التي كانت» يقول:

«ومن غرائب ما قيل في هذا الصدد تعريف ابن القيم للجزية بأنها هي الخراج المضروب على رءوس الكفار إذلالاً وصغارًا، وأن هذا يتنافي مع روح الإسلام، ودعوته للمسامحة بين الناس جميعًا»[(٢)] - إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم -.

☐ وللأستاذ فهمي هويدي اجتهاد مبتكر في فهمه للأحاديث النبوية والنصوص الأخرى المتعلقة بمعاملة المسلمين لغير المسلمين. يقول الكاتب تحت عنوان «شبهات وأباطيل»:

يهمنا ذلك في محاولة لفهم وقراءة هذه النصوص وهي على وجه التحديد.

١ - حديث أبي هريرة ﷺ. قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقها**» متفق عليه.

---

(١) السابق (ص١٢٤، ١٢٥).

(٢) «مواطنون لاذميون» (ص١٢٨، ١٣١)، ولابن القيم كتاب قيم بعنوان «أحكام أهل الذمة»؛ بإمكان القارئ الكريم أن يرجع إليه ليرى عدل الإسلام مع هولاء الذميين الذين يتباكى عليهم عصرانيو آخر زمن!!.

٢ ـ ما أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»: «أن النبي ﷺ قال: «**لا يجتمع في جزيرة العرب دينان**».

٣ ـ عهد عمر رضي الله عنه في معاملة غير المسلمين. .[١].

□ يقول فهمي هويدي: «لا يؤخذ من الأحاديث عادة إلا ما كان مقصوداً به التشريع العام والاقتداء».

«والأحاديث السابقة، كانت إجراءً استثنائيًّا في ظروف استثنائية، فالحديث الأول: يخالف نصوصًا أخرى تدعو إلى رد التحية بأحسن منها، ولكن اليهود كانوا يتظاهرون بالتحية للرسول وأصحابه بعبارة «السام عليكم» أي الموت. أما عهد عمر رضي الله عنه، فالكاتب يشكك في صحته تاريخيًّا من حيث السند!![٢].

□ لقد حكمت الشريعة الإسلامية بضعة عشر قرنًا من عمرها، لم يعرف في التاريخ عدلاً وإنصافًا ورحمة بأقليات دينية كما عرفها في تلك القرون تحت مظلة الشريعة، بل كانت الطوائف تفر من بطش أبناء دينها لتنعم بالأمن والاستقرار في ظل عدل الإسلام وإنصاف المسلمين.

*** فهمي هويدي والقتال في سبيل اللّه والتعايش السلبي بين الشعوب:**

□ ويكتب فهمي هويدي كثيراً عن هذا الموضوع ويردد آراء المستشرقين الحاقدين. ويعتبر أن القتال يعطل رسالة التبلغ، يقول: «ومنذ البداية سلح اللّه المسلمين بالكلمة، وكان أول ما أنزل اللّه على نبيه هو: (اقرأ وليس اضرب)، أو (ابطش)، فكان كتاب المسلمين هو «القرآن الكريم».

«لم يكن سلاح المسلمين سيفًا ولا سوطًا، ولم تكن شريعتهم قانون

(١) «مواطنون لا ذميون» (ص١٧٧).

(٢) السابق (ص١٨١).

حرب..».

«إن القتال في التصور الإسلامي ينبغي أن يظل منعطفًا يُكرَه إليه المسلمون، أو نوعًا من «الهبوط الاضطراري»، الذي يعترض المسار الطبيعي لرحلة التبليغ الإسلامية.

من هنا فإن الإسلام يظل ضرورة لازمة، كي يؤدي المسلمون رسالة التبليغ، ويظل القتال عنصرًا معطلاً لأداء هذا التكليف الإلهي»[1].

☐ وفي فصل: «عندما يشهر سيف الإسلام» يقول: «وهكذا تتابعت الفتوح بحكم الضرورات الحربية وحدها.. وجاهد المسلمون أنفسهم والناس جهادًا كبيرًا ليؤمنوا دولتهم»[2].

وفي تأويله للحديث الشريف «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه**»[3]. يقول: «وحقيقة الأمر أن المعنى بالناس هنا ليس كل البشر، وإنما هم جماعة من البشر»؟!!.

وحديث: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق**»[4].

☐ يقول في هذا الحديث: «الحديث لا يدين كل مسلم لا يقاتل في سبيل اللَّه، الأمر الذي قد تشتم منه رائحة التحريض، التي يحاول البعض اصطيادها من السياق..

ولا نرى في الحديث وجهًا لاستثارة المسلمين على غيرهم، ذلك أن

---

(١) السابق (ص٢٣٦).

(٢) السابق (ص٢٤٩).

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

الأمر كله كان على عهد رسول اللَّه ﷺ . .»[١] .

أي أن هذه الأحاديث كانت لمناسبات تاريخية انتهى زمنها.

* **أخطر أقواله:**

ومن أخطر أقواله قوله: «إنه ليس صحيحًا أن المسلمين صنف متميز ومتفوق لكونهم مسلمين، وليس صحيحًا أن الإسلام يعطي أفضلية لهم، ويخص غيرهم بالدونية لأنهم كفار»[٢] .

وفي ذلك دعوة لمبدأ الإنسانية الماسوني، وهو صورة واضحة من صور الولاء للكفار؛ لأنه يكسر التميز الذي يبنى عليه الولاء والبراء، والحب والبغض حسب المقياس الإسلامي الصحيح[٣] .

* **د. أحمد كمال أبو المجد يدعو إلى الاجتهاد في الأصول:**

يدعو الدكتور أحمد كمال أبو المجد إلى الاجتهاد في الأصول، إذ كتب يقول: «والاجتهاد الذي نحتاج إليه اليوم، ويحتاج إليه المسلمون، ليس اجتهادًا في الفروع وحدها، وإنما هو اجتهاد في الأصول. . ولا يعني امتناع الاجتهاد في الأصول، إلا التزامًا بما لا يلزم، وتقصيرًا في بذل الجهد بحثًا عما ينفع الناس»[٤] .

□ **ومن أخطر أقواله:**

ـ ينعي الدكتور أحمد كمال أبو المجد على الذين يسرفون في القول

---

(١) «مواطنون لا ذميون» (ص٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٢) مجلة العربي الكويتية ـ العدد (٢٦٧) ربيع الأول/ ١٤٠١هـ/ (ص٤٩) من مقال لفهمي هويدي بعنوان «المسلمون والآخرون».

(٣) «الولاء والبراء» للدكتور محمد سعيد القحطاني (ص٤٢١) الهامش ـ ط١ دار طيبة.

(٤) مجلة العربي ـ العدد (٢٢٢) ـ ١٩٧٧م ـ مقال «مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر» (ص٢٥٧).

بتميز الإسلام على غيره، كاليهود والنصارى، فذلك مخالف للقرآن الكريم ذاته ـ كما يزعم ـ.

يقول: «والذين يسرفون في الإلحاح على تميز الإسلام والمسلمين تميزاً شاملاً مطلقًا محجوجون بنصوص القرآن الكريم، التي تصف أنبياء اللَّه بوصف الإسلام: ﴿**قال يقوم ليس بي سفاهةٌ ولكني رسولٌ من رب العالمين**﴾ [آل عمران: ٦٧].

وهم محجوجون كذلك بحقيقة وحدة الإنسانية، ووحدة مصدر الأديان السماوية، وبأن العهد الذي أخذ بحمل الأمانة إنما أخذ على آدم أبي البشرية، وعلى بنيه مسلمين وغير مسلمين ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**﴾ [الأعراف: ١٧٢] (١).

❊ د. عبدالعزيز كامل وزير الأوقاف السابق والقول «بوحدة الأديان»:

لقد تحمّس العصرانيون الجدد إلى القول بوحدة الأديان، وتجاوزوا فيها كل حد.

❑ قال الدكتور عبدالعزيز كامل: «ونحن في منطقة الشرق الأوسط، نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى، وأقولها واضحة، يستوي في هذا: الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يختتم بإله واحد. هذه منطقة توحيد، والصور تختلف، وتفسيرها الفلسفي يختلف» (٢).

---

(١) «حوار لا مواجهة» لأحمد كمال أبو المجد (ص٢٠٧).

(٢) ينظر كتابه «الإسلام والعصر» (ص١٩٤) نقلاً عن «العصريون» ليوسف كمال.

* **الدكتور عبدالمنعم ماجد وتزوير التاريخ:**

يعجب الدكتور عبدالمنعم ماجد من توهم بعض المستشرقين الذين يرون أن العرب المسلمين فتحوا البلدان بدافع إسلامي ويقول: «لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم: إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني، فمن غير المعقول أن يخرج البدوي وهو الذي لا يهتم بالدين لينشر الإسلام»[(١)] .

«فلمصلحة من هذا الافتراء؟! لقد أصبح الدكتور مستشرقًا أكثر من أساتذته، يغيّر ويزوّر لمصلحة أعداء أمته»[(٢)] .

* **الدكتور محمد جابر الأنصاري يتهم العثمانيين بأنهم همج متوحشون:**

يحرص الدكتور محمد جابر الأنصاري على تجريد العثمانيين من كل فضيلة حتى غدوا في نظره «جماعة من الهمج المتوحشين الذين دمروا الحضارة العربية الزاهية»[(٣)] .

◻ وهو ينزعج بشدة من تلك المحاولات العجيبة التي تحاول إعادة الاعتبار للتاريخ العثماني، ولتاريخ السلاطين الأتراك باعتبارهم رموز للجامعة الإسلامية، وللكيان الإسلامي الواحد»[(٤)] .

* **مالك بن نبي «الحق أحب إلينا منه»:**

◻ يقول الأستاذ محمد العبدة في مجلة البيان العدد ٢٣ (ص٢٩):

---

(١) «التاريخ الإسلامي للدولة العربية» لعبدالمنعم ماجد (١/ ١٦٣) ـ مطبعة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧١ .

(٢) «العصرانيون» (ص٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٣) «الدوحة القطرية» العدد (١٠١) شهر رجب ١٤٠٤هـ مقال «نظرة في الجذور».

(٤) «الدوحة القطرية» العدد (٩٩) جمادى الأولى ١٤٠٤هـ.

«إن أفكار الأستاذ مالك بن نبي عن أمراض العالم الإسلامي وشروط النهضة هي أفكار تستحق الدراسة والتأمل، ونتمنى أن يستفيد منها المسلمون في كل مكان، فقد أصاب فيها المحز، ووضع الأصبع على الجرح، ورغم مرور سنين على طرحها، لكن مشكلة المسلمين لا زالت كما حللها وكتب عنها.

وكل يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ .

وللأستاذ مالك بن نبي أخطاء أحببنا أن ننبه عليها.

□ يقول الأستاذ محمد العبدة في مجلة البيان:

«إن الأخطاء التي سنتكلم عنها ليست أخطاء عادية مما يقع لكل كاتب، فكان لا بد من ذكرها والتنبيه عليها.

* **النظرة السطحية للأحداث والشخصيات:**

كان مالك بن نبي عميقًا في فهم غور الاستعمار وأساليبه الخفية للتسلط على العالم الإسلامي، وعميقًا في معالجة (القابلية للاستعمار) عند المسلمين، ولكنه في عالم الواقع والسياسة فيه سذاجة أو طفولة سياسية، وهذا ليس غريبًا فقديمًا تعجب الإمام الجوزي من شخصية أبي حامد الغزالي، كيف يجمع بين الفقه والذكاء من جهة، وبين الصوفية وحكايات العجائب والخرافات من جهة أخرى.

١ ـ أعجب مالك بثورة ٢٣ يوليو في مصر، ومدحها ووضع آماله فيها من ناحية الإصلاح الزراعي والصناعة، وإنشاء وزارة الثقافة والإرشاد، والحياد الإيجابي، وكل الدجل والشعارات التي أطلقها مهرج هذه الثورة.

فثورة يوليو ١٩٥٢ عند مالك: «من أهم الحوادث بالنسبة للصراع الفكري، وكان لهذا الحدث تأثير شرارة كهربائية انطلقت في وعي البلاد

العربية والعالم الإسلامي»[١] «وكل عربي يعلم أن نظرة الرئيس جمال عبدالناصر خطت للنهضة العربية الاتجاه الصحيح الذي يحقق الشرط الأول للانسجام مع القانون العام. .»[٢] .

كيف يكون هذا الزعيم بهذه الصفات ونحن لا نعلم أن هناك زعيمًا آخر في العصر الحديث ترك بلاده خرابًا مثل جمال عبدالناصر؟ كيف لا يدري مالك بن نبي وهو من هو في فهم اللعبة الاستعمارية أن عبدالناصر كان ضمن (لعبة الأمم)، وأنهم ساعدوه على صنع هذه البطولة المزيفة، وحتى لو كانت هناك بعض الإصلاحات المادية ـ وهي لم تتحق فعلاً ـ فأين الحديث عن الاستبداد السياسي وكرامة الشعب المسحوقة؟ بل أين تطبيق الإسلام؟ .

٢ ـ علق مالك بن نبي آمالاً كبيرة على مؤتمر باندونغ، واعتبره كتلة سلام للعالم، واعتبر هذا التنوع الذي يضم تسعًا وعشرين دولة، تضم تراثًا فكريًا متفاوتًا «يمكن بطبيعة الحال أن يقدم العناصر اللازمة لبناء قاعدة متينة للسلام. .»[٣] . هذه نظرته لهذا المؤتمر، والحقيقة أنه كان يحب التكتلات الكبيرة لمواجهة الغرب، وقد يكون معه بعض الحق في هذا، ولكن مثل هذا التكتل كان يحمل بذور فشله، وقضية الحياد التي يرفعها لم تكن صحيحة، فكل دولة منحازة، والهند التي كانت من أبرز أعضاء المؤتمر وتدعي السلام والروحانية كانت تحمل بين جوانحها الكره العميق للمسلمين، بل إن صورة الهند العدوانية كانت من البديهيات عند الشباب المسلم في الستينات، ولم ينخدعوا بكلام الدبلوماسي الهندي «ليس لدينا من الخشوع ما يكفينا ونحن

(١) «الصراع الفكري» (ص٢٢).
(٢) «تأملات» (ص١٧٨).
(٣) «فكرة الأفروآسيوية» (ص٩٨).

ذاهبون إلى باندونغ»[١] ، ويصدق مالك بن نبي أن نهرو حمل رسالة اللاعنف التي سلمه إياها غاندي، ونهرو هذا يكتب في (المجلة العصرية) مقالتين ينكر فيهما على الجمعيات المسلمة الحركة ضد القاديانية ويؤيد جانب القاديانية»[٢] ، وهند نهرو هي التي احتلت كشمير وأخذتها بالقوة، فأين السلم وأين الديمقراطية التي تدعيها؟ وما الفرق بين الهند وباكستان في (القابلية للاستعمار).

وقد أدرك مالك أخيراً عدم جدوى أي محاولة تجمع ليست عناصره منسجمة[٣] ، كما كان يلمح في آخر حياته بأن ثورة ٢٣ يوليو لم تقم بالواجب، ولا شك أن الكبار من أمثال مالك بن نبي يتراجعون إذا عرفوا الحق.

٣ ـ كانت روسيا بعد الثورة الشيوعية تدعي أنها دولة صديقة للشعوب وللعالم الثالث، وأنها ليست دولة استعمارية، وقد صدق مالك بن نبي هذه المقولة، يقول: «فالمناخ الاستعماري الذي تكون في أوربا وأمريكا على حد سواء، وفي الاتحاد السوفييتي قبل الثورة أيضًا»، ولكن الحقيقة أن روسيا مستعمرة قبل الثورة وبعدها، ولم تتخل عن جشع الدول الكبرى، وهي وجه آخر للحضارة الغربية.

٤ ـ نقد مالك الانتخابات السياسية التي تطالب بالحقوق فقط وتنسى الواجبات، وتعتمد أسلوب المظاهرات والحفلات، وهو محق في هذا، ولكنه شارك في هذه الوسائل، وساعد (مصالي الحاج) في قيام الحزب الوطني، مع أنه ينتقده هو وحزبه، ولكنه حب الحركة ثم يكتشف الأخطاء بعدئذ.

---

(١) المصدر السابق (ص٧).
(٢) «تاريخ الحركة الإسلامية في الهند» (ص٢٢٠).
(٣) «فكرة كومنولث إسلامي» (ص٧).

* **اللاعنف:**

أعجب مالك بن نبي بقصة (اللاعنف) عند غاندي، فهو يذكرها دائمًا، بل يذكرها بخشوع، ويبني عليها أحلامه الفلسفية في السلام العالمي، واتجاه العالم نحو مناقشة قضاياه بالسلم والحوار والفكر، يقول عن منطقة جنوب شرقي آسيا: «هي مجال إشعاع الفكر الإسلامي وفكرة اللاعنف، أي مجال إشعاع حضارتين: الحضارة الإسلامية والحضارة الهندوكية، الحضارتان اللتان تختزنان أكبر ذخيرة روحية للإنسان اليوم»[١].

ويحلق في الخيال والطوباوية عندما يقول: «فكذلك رفات غاندي التي ذروها فإن الأيام ستجمعها في أعماق ضمير الإنسان من حيث سينطلق يومًا انتصار اللاعنف ونشيد السلام العالمي»[٢]. «هذا الرجل (غاندي) كان يتقمص إلى درجة بليغة الضمير الإنساني في القرن العشرين»[٣].

إن فكرة (السلم العالمي) بمعنى أن يحل السلام في العالم بشكل دائم، أو أن العالم يتجه نحو هذا الهدف، هذه الفكرة غير واقعية وغير شرعية، وهي فكرة خيالية محضة، فهي تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره القرآن الكريم ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾ [البقرة: ٢٥١]، كما تنافي مبدأ الجهاد في الإسلام، وهي غير واقعية لأن من طبيعة البشر التغالب والعدوان إن لم يردعهم رادع، والدول الكبيرة القوية تأكل الضعيفة إن لم يكن عسكريًّا فاقتصاديًّا. والبشرية لن تبلغ رشدها في عمرها الثالث فتصبح الفكرة ذات قيمة في حد ذاتها كما يتصور مالك بن نبي[٤]، بل إنها كثيرًا ما

---

(١) «في مهب المعركة» (ص٨٧).

(٢) المصدر السابق (ص٢٠٨).

(٣) المصدر السابق (ص٢٠٧).

(٤) «إنتاج المستشرقين» (ص٣٥).

تتردى من الناحية الإنسانية، والبشرية لا تبلغ رشدها إلا إذا حكمها الإسلام.

إن فكرة (اللاعنف) و(الإنسانية) من الأفكار الخطيرة التي بدرها مالك ووسعها بعدئذ تلامذته، وحاولوا اللف والدوران كثيراً حول مبدأ الجهاد الإسلامي.

* **الإنسانية والعالمية:**

وقريب من مبدأ (السلام العالمي) كان مالك يحلم بأن تتوحد الإنسانية في مجتمع عالمي، ويظن بأن البشرية تسير بهذا الاتجاه، «فالعالم قد دخل إذن في مرحلة لا يمكن أن تحل فيها أغلبية مشكلاته إلا على أساس نظم الأفكار»[١] ، «وحين اتجه العالم إلى إنشاء منظمة اليونسكو، كان يهدف إلى (تركيب) ثقافة إنسانية على المدى البعيد»[٢] «وما محكمة العدل في لاهاي والقانون الدولي، والقانون البحري إلا مظاهر خاصة لذلك الاتجاه العام الذي لا يفتأ يمهد الطريق لتوحيد العالم»[٣] .

هذا المفهوم للإنسانية مفهوم وهمي يراد به محو الشخصية الثقافية الحقيقية لكل مجتمع ولكل أمة، وإذا كان العالم قد تقارب وانتشرت الأفكار في كل مكان، وقد يستفيد المسلمون من ذلك في نشر دينهم الذي يملك عناصر التأثير والقوة، ولكن أن يتوحد العالم في مجتمع واحد فهذا مفهوم ذهني مجرد، وإذا كان هو نفسه شعر بأن فكرة الأفروآسيوية صعبة التحقيق، ولذلك عاد وكتب عن (الكومنولث الإسلامي)؛ فكيف يظن أن العالم يسير نحو الوحدة؟!.

---

(١) «مشكلة الثقافة» (ص١٤).

(٢) المصدر السابق (ص٩٦).

(٣) «وجهة العالم الإسلامي» (ص١٥٤).

* **ضعف ثقافته الشرعية :**

لم يتصل مالك بن نبي بعلماء عصره ليستفيد منهم، ورغم اعترافه بأهمية جمعية العلماء في الجزائر التي كان على رأسها الشيخ عبدالحميد بن باديس؛ إلا أن علاقته بها كانت فاترة ويعترف هو بعد ذلك أنه كان مخطئًا في هذا[١] ، ولذلك كانت دراسته للإسلام نابعة من قراءاته الشخصية وهي قليلة إذا قيست بقراءاته في الفكر الغربي، وهذا ما جعله يخطئ في أمور كثيرة سواء كانت في الفقه والأحكام أو في النظرة لبعض جوانب التاريخ الإسلامي، فمن رموز الثقافة عنده الفارابي، وابن سينا، وابن رشد[٢] . . «والمجتمع الإسلامي في عصر الفارابي كان يخلق أفكارًا وفي عهد ابن رشد يبلغها إلى أوربا وبعد ابن خلدون لم يعد قادرًا على الخلق ولا على التبليغ»[٣] .

وفي العصر الحديث فإن من رموز الثقافة عنده جمال الدين الأفغاني، وهو موقظ الشرق، وهو رجل الفطرة . . إلخ . وإطلاقه هذا القول جزافًا يدل على ضعف ثقافته الشرعية .

وفي التاريخ يلمز كثيرًا بني أمية دون وضع الضوابط للإنصاف والتقويم الصحيح . وبسبب عدم وضوح توحيد الألوهية ظن أنه من الممكن اتصال العالم الإسلامي بروحانية الهند «وليس بوسعنا أن نغض من قيمة الدور الذي يمكن أن يؤديه اتصال العالم الإسلامي بروحانية الهند»[٤] .

ولم يشر في كتبه إلى موضوع تحكيم الشريعة الإسلامية، وكان معجبًا

---

(١) بقي له ملاحظات مهمة على جمعية العلماء سنذكرها في نهاية المقال .

(٢) «شروط النهضة» (ص٧١) .

(٣) «مشكلة الثقافة» (ص٤٨) .

(٤) «وجهة العالم الإسلامي» .

بدولة الوحدة عام ١٩٥٨ مع أنها لا تطبق شرع اللَّه، وهناك أخطاء جزئية لا نريد التفصيل فيها ونعتقد أنه لو نبه عليها لتراجع.

▫ وقبل أن ننهي هذه القراءة لفكر مالك بن نبي لا بد من التنبه لأمور:

١ ـ هذه السلبيات والأخطاء يجب أن لا تمنعنا من الاستفادة من الإيجابيات، فهذا المفكر خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر. وكأني أسمع بعض المسلمين يقولون: ما دامت هذه آراؤه فما الفائدة من قراءة كتبه؟ وهذا خطأ فادح منهم، فنحن نقرأ لأعداء الإسلام ونستفيد منهم؛ فكيف بمفكر كان يسعى ـ حسب جهده ـ لخير المسلمين، وإن أخطأ في مواضع.

٢ ـ إن مالك بن نبي شخصية كبيرة، فهو يتراجع عن الخطأ إذا تبين له، لقد نصح جمعية العلماء في الجزائر بصدق وقال كلامًا دقيقًا في هذا «لقد كان على الحركة الإسلامية أن تبقى متعالية على أوحال السياسة والمعامع الانتخابية»[1] «وبأي غنيمة أراد العلماء أن يرجعوا من هناك وهم يعلمون أن مفتاح القضية في روح الأمة لا في مكان آخر»[2]، وهو يقصد سير العلماء في القافلة السياسية عام ١٩٣٦.

ويقول: «فيما يخصني لقد بذلت شطرًا من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية، وشهدت في مناسبات مختلفة بالفضل لجمعية العلماء»[3]، ويتأسف لأن الجمعية لم تدعه للمساهمة في شئونها الإدارية، ومع ذلك فقد تراجع واعترف أن موقفه من الجمعية لم يكن طبيعيًا بسبب نظرته الخاصة للشيخ ابن باديس.

(١) «شروط النهضة» (ص٣٨).
(٢) «في مهب المعركة» (ص١٩٠).
(٣) «وجهة العالم الإسلامي» (ص١٢٧).

٣ ـ رغم معرفة مالك الدقيقة بالفكر الغربي، وتأثره به في بعض الأحيان إلا أن أمله في التغيير بقي معلقًا في الأصالة الإسلامية، وبالرجوع إلى المنبع الأساسي للمسلمين «فالعالم الإسلامي لا يستطيع أن يجد هداه خارج حدوده بل لا يمكنه في كل حال أن يلتمسه في العالم الغربي الذي اقتربت قيامته، ولكن لا يقطع علاقته بحضارة تمثل أحد التجارب الإنسانية الكبرى، بل المهم أن ينظم العلاقة معها»[١]، «والمسلم لا يزال يحتفظ بالقيمة الخلقية، وهو ما ينقص الفكر الحديث، فالعالم الإسلامي لديه قدر كبير من الشباب الضروري لحمل مسئولياته ماديًّا وروحيًّا».

فهل يتحمل الشباب هذه المسئوليات؟ نرجو ذلك[٢].

*** مالك بن نبي غفر الله له وإعجابه بفكرة السلام العالمي الموهوم:**

«ممّن نفّر من العنف، وأعجب بفكرة السلام العالمي الموهوم، الكاتب الإسلامي: مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ.

وقد أبرز هذه الفكرة في عدد من كتبه، فهو يرى مثلاً: «أن الإسلام والهندوسية تنفيان سيف العقيدة»[٣].

ولا يخفي مالك بن نبي إعجابه بغاندي العظيم؟! ويخصه بمقال مملوء بالإكبار، فهو بطل السلام، قاوم الإنجليز مقاومة سلبية: «إذ رجعت الدبابات إلى الوراء، وتقهقرت عند تلك الأجسام التي انفرشت على الأرض أمامها، تقهقرت أمام أفواه ترتل بعض الأذكار المقدسة، وأمام أرواح منغمسة في

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٨).

(٢) مجلة البيان ـ العدد الثالث والعشرون جمادي الأولى ١٤١٠ مقال «قراءة في فكر مالك ابن نبي» (ص٢٩ ـ ٣٥).

(٣) كتاب «الفكرة الأفريقية الآسيوية» لمالك بن نبي (ص١٤٨).

صلوات صامتة؟! إن جهاز الاستعمار الضخم وقف عند حدوده وباء بالخسران أمام معزة غاندي وسرباله ومغزله، وصلواته وصيامه مع الجماهير وفي خلواته».

«إن رفات غاندي التي ذروها في مياه الغانج المقدسة، ستجمعها الأيام في أعماق ضمير الإنسانية، كيما ينطلق يومًا انتصار اللا عنف ونشيد السلم العالمي»[١].

وفي فصل آخر يتحدث عن إعجابه بنهرو وطاغور، لسبب نفسه ثم يتساءل: هل من بين هؤلاء الزراع لفكرة اللاعنف في القرن العشرين.. هل من بينهم مسلمون؟ (ويجيب)، ويؤسفنا أن لا نجد من بينهم..»[٢].

إن التعلق بالسلام أمر طيب، والتنفير من الحروب شعور نبيل، إلا أنه حلم مثالي شاعري بعيد عن الواقع وطبيعة البشر، وفكرة غير شرعية تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره اللَّه في كتابه ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾ [الحج: ٤٠].

□ والإعجاب بالوثنيين ومحبتهم، يناقض ما كان عليه السلف، ويناقض نصوص الشرع الحنيف ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقد أثبتت الأيام أن الهنود دعاة السلام من أتباع غاندي قد داست دباباتهم جنود باكستان المسلمة، في اعتداء صارخ على ديار المسلمين، فضاعت الشعارات، وما نفع رفات غاندي الملقى في مياه الغانج المقدسة؟!.

---

(١) «في مهب المعركة» لمالك بن نبي (ص١٤٩ ـ ١٥٢)/ فصل تحية إلى دعاة اللاعنف/ طبع دار الفكر ١٩٨١م.

(٢) المرجع السابق فصل «رولان وسياسة الهند» (ص١٥٣ ـ ١٥٤).

□ إن ثقافة مالك الشرعية كانت ضعيفة، إذا قيست بقراءاته الغربية، وهذا ما جعله يخطئ في عدة أمور تتعلق بالأحكام الشرعية.

ورغم ذلك كله كان مالك ـ رحمه اللَّه ـ عميقًا في فهم غدر الاستعمار وأساليبه الخفية، وعميقًا في معالجة القابلية للاستعمار عند المسلمين.. فهو مفكر خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر، إلا أن هذه الإيجابيات لا تمنعنا من ذكر بعض السلبيات، ولعل آلامه مما كان يعانيه الشعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي، جعلته يحن إلى فكرة اللاعنف بهذا المنظور(١).

□ إلا أن أفكار الأستاذ مالك التي بذرها، وسّعها بعض تلامذته المتأثرين به، فانحرفوا بعيدًا عن جادة الصواب في مفهوم الجهاد في سبيل اللَّه.

من هؤلاء الشيخ جودت سعيد في كتابه: مذهب ابن آدم الأدل، فقد وقع في أخطاء واضطراب في عرضه لمفهوم الجهاد في سبيل اللَّه.

* الطبيب خالص جلبي وفكرة اللاعنف ومهاجمته لفتوحات بني أمية والفتوحات العثمانية:

□ وممن تعلق بفكرة اللاعنف، وشكك بمبدأ الجهاد، من أتباع هذه المدرسة الطبيب خالص جلبي: فقد هاجم خلافة بني أمية مرددًا في ذلك أحقاد المستشرقين، وفضل عليها خلافة بني العباس.

إذ أن خلفاء بني أمية حملوا راية الجهاد وفتحوا كثيرًا من البلدان، ودخلت كثير من الشعوب الإسلام على أيديهم وأيدي ولاتهم.

(١) انظر مجلة البيان، العدد (٢٣) «قراءة في فكر مالك بن نبي» مقال للأستاذ محمد العبدة.

❑ يقول خالص جلبي: «وبفعل الانحراف الأموي، فإن الملكية الاستبدادية نقلت وطعمت وألصقت إلى الجسم الغريب»[١].

أما الفتوحات العثمانية: فقد هاجمها الكاتب هجومًا عنيفًا مرددًا أقوال المستشرقين من أساتذته، يقول في ذلك: «والعالم الإسلامي، بدأ بالثورة الروحية العقلية، منذ الوحي في غار حراء، وانتهى بالعسكرية التركية، التي أنهت كل دفعة حيوية في العالم الإسلامي.. والعسكرتارية بالبارود والنار دخلت شرق أوروبا، ولكن فرق كبير بين دخول الإسلام إلى الشرق الأوسط والهند مثلاً، وبين دخوله على يد الأتراك إلى شرق أوروبا ومَنْ يتأمل يدرك»!![٢].

فالعثمانيون لهم أخطاؤهم ولا شك، ولكن الفتوحات تعتبر من مفاخرهم التي لا ينكرها إلا مَنْ حقد على اجتياح شرق أوروبا وسقوط استانبول على يد محمد الفاتح ـ رحمه اللَّه ـ.

لقد شارك الكاتب بقية رجال المدرسة العصرانية، عندما هاجموا الفتوحات العثمانية، متهمين إياها بالهمجية والتوحش.

❑ يقول الأستاذ محمد قطب: «ويكفي العثمانيين ـ في ميزان اللَّه ـ أنهم توغلوا في أوربا الصليبية، وفتحوا للإسلام ما فتحوا من أراض وقلوب.. ويكفيهم أنهم حموا العالم الإسلامي من غارات الصليبيين خمسة قرون متوالية، ويكفيهم أنهم منعوا قيام الدولة اليهودية على أرض الإسلام..»[٣].

(١، ٢) «النقد الذاتي» لخالص جلبي (ص١١٢، ٢٣١).

(٣) «واقعنا المعاصر» للأستاذ محمد قطب (ص١٥٢، ٣١٦).

*** عبداللطيف غزالي يدعو إلى الانفتاح على حضارة الغرب بلا قيود ويعطل مفهوم الجهاد، ويتعجب من قول المسلمين بدخولهم الجنة دون غيرهم:**

□ يقول عبداللطيف غزالي مقارنًا تخلف علوم المسلمين، بتقدم علوم الإغريق، ويدعو إلى الانفتاح على حضارة الغرب بلا قيود. انظر إليه يقول:

« وما أبعد إحياء تراث الإغريق في العصور الوسطى عن إحياء تراث سلف المسلمين اليوم. إن علوم الإغريق حين أخذ الأوربيون يبعثونها كانت شيئًا متقدمًا غاية التقدم، بالنسبة لما كان لديهم من علوم كلها خرافات، أما علوم السلف اليوم، فهي شيء متخلف غاية التخلف بالنسبة لما لدينا، ولا أقول كما لدى الأوربيين من هذه العلوم، ومع ذلك فإن الآثار الدينية هذه تتضمن محاولة الرجوع للقهقرى إذا لم تتناول بفهم وذوق يضبطان النقل والرأي في ضوء الفكر العصري»[1].

*** أخطر أقواله:**

□ يقول عبداللطيف غزالي: «لمَ يعتقد أتباع كل دين أن اللَّه يختصهم بالجنة، ويذر غيرهم وأكثر الناس في النار؟ إن إلهًا هذا شأنه وإن صح ـ وحاشا أن يصح ـ لا يكون إله طائفة قليلة بالنسبة لسائر الناس؛ لأنه ليس ثمة دين يضم أكثر البشر.. إن العمل الصالح لهو اليوم أفضل جهاد في سبيل اللَّه»[2].

---

(١) «نظرات في الدين» لعبداللطيف غزالي (ص٨ ـ ٩)، و«العصرانيون» (ص١٧٩)، و«العصريون» ليوسف كمال (ص٢٨).

(٢) «العصرانيون» (ص٣٠٩ ـ ٣١٠)، و«العصريون معتزلة اليوم» ليوسف كمال ـ دار الوفاء المنصورة، و«نظرات في الدين» لعبداللطيف غزالي (ص٣٧).

ويقول: «إن العمل الصالح هو العمل المنتج مثل أن يكون هو العبادة»[١].

ويقول: «ولقد صار البديل عن الجهاد هو العمل، ولقد صار البديل عن الحرب هو التعايش السلمي»[٢].

* القذافي يطعن في السنَّة ويمدح أتاتورك:

يقول القذافي: «الصحابة كانوا باستمرار يقولون له يا نبي اللَّه، يا رسول اللَّه، وعمره ما قال لهم اتبعوا حديثي أو كلامي؟ أين هذه موجودة؟ هل فيه نص في القرآن كله، ستين حزب، هل فيه ما ينص على النبي قال لكم الكلام الذي أنا قلته لازم تتبعوه؟ طيب.. أربعين عامًا قبل البعثة، أين الكلام الذي كان يقول فيه؟ هل كان لا يتكلم؟ كان يتكلم وأين الكلام الذي قاله؟ لما جاء في إحدى الغزوات وقال لهم خلي نزلوا في هذا المكان، قالوا له هذا وحي واجتهاد أو كلامك أنت؟ قال لهم: كلامي أنا. قالوا له: لا إن الحرب مكيدة، ما ننزل في هذا المكان لكن هو باستمرار، باستمرار يؤكد التمسك بالقرآن فقط، لو كان هو قدّس حديثه، وجعل لحديثه أهمية مثل القرآن أو قريبة منها، معناه هو يخلق كتابًا آخر يحلّ محل القرآن.. الذي أتى لنا وقال حديث النبي هذا لا بد تمشوا به وتقدسوه مثل القرآن، هذا شرك طبعًا، لا تعد تقل لي البخاري ومسلم هو الصحيح؛ لأن البخاري ومسلم فيهما أشياء لا تتفق مع أصول القرآن. إذن لنجمع كل ما قيل أنه حديث، ونقارنه بالقرآن، والذي يتفق معه زين، نقبله، والذي لا يتفق معه نشطبه ولا نعد نقول البخاري ومسلم»[٣].

ويمدح القذافي أتاتورك قائلاً: «عندما جاء أتاتورك.. وكان على

---

(١) «نظرات في الدين» (ص٣٧).

(٢) المصدر السابق (ص٣٦)، و«العصريون معتزلة اليوم» (ص٧٧).

(٣) «وثائق خطابات وأحاديث القذافي» (ص١٠٤) نقلاً عن «العصريون معتزلة اليوم» ليوسف كمال (ص٥٦).

الأقل مش كيف هو حاصل الآن، قال واللّه ما نبقى نفصل الدين عن الدولة، هو مسلم، اسمه مصطفى كمال أتاتورك، اسمه مصطفى على اسم النبي، لم يقل أن تركيا يجب أن تكون ملحدة، قال: تركيا دولة إسلامية، وتبقوا مسلمين. ولكن قال: أنا عندي طلب واحد. قال لهم أريد أن أفصل الدين عن الدولة.. كيف؟ إن الدولة وهي دولة وضعية تعالج مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية وفقًا للعصر التي هي فيه، أما الدين خلّوا كل واحد، يصلي ويحج ويصوم.. يصلي بالمسجد، يبني مسجداً.

جاء المتعصبون الذين سموا أنفسهم علماء في ذلك الوقت، وقالوا له مستحيل، هذا كفر إذا فصلت الدين عن الدولة هذا كفر، ناداهم وقال لهم: أرجوكم هاتوا لي فتوى، فقط فتوى تجعلني أعلن باسم الإسلام، وإن الإسلام يبيح لي فصل الحكومة عن الدين، اجعلوا الحكومة لوحدها، واتركونا مسلمين كما كنا، قالوا له مستحيل.. هذا كفر.. قال لهم طالما هوّ كفر، فأنا ذاهب إلى قمة الكفر. وهذا هو القرآن، وهذا هو الإسلام.. وأحضر لي السيف لأقطع رقابهم وهرب من الشبابيك علماء الإسلام كلهم.. ومن تلك اللحظة كانت نكبة على الإسلام، أعلن الإلحاد والكفر قال: هذا الدين الذي يكبلني ولم يتركني أتصرف في تركيا لكي تواجه أعداءها وتنهض من جديد. قال: أنا لا أريد هذا الدين وأتاتورك مظلوم»[١].

وفي هذا من الدجل والكذب وتزييف الحقائق ما فيه، وفي القذافي وأتاتورك يصدق قول القائل:

ومن جعل الغـراب له دليـلاً   يمر بهم على جيـف الكـلاب

* محمد أسد: نسخة أوربية لرائد العصرانية سيد خان منكر السنة:

محمد أسد (أو ليوبولد فايس) مستشرق نمسوي الأصل، كان في أول

---

(١) المصدر السابق، ونقل عنه يوسف كمال في كتابه «العصريون معتزلة اليوم» (ص٥٧).

أمره مراسلاً للصحف الأوربية في الشرق الأوسط، وبعد تجوال في ربوعه وبخاصة في جزيرة العرب هداه اللَّه فأعلن إسلامه في عام ١٩٢٦م. وبعد فترة من العيش بالمملكة السعودية انتقل للهند، ومكث فيها مدة طويلة، وكانت له صلات قوية بالحركة الفكرية فيها، وبعد إنشاء حكومة باكستان عمل في خدمة حكومتها، حتى استقال من خدمتها عام ١٩٥٢م وكان يشغل منصب ممثلها في الأمم المتحدة[١].

وقد عرفه العالم العربي من خلال أول كتاب ترجم له إلى اللغة العربية بعنوان «الإسلام على مفترق الطرق»، وصدرت الترجمة عام ١٩٤٦، واشتهر وذاع صيته بسبب هذا الكتاب الذي لاقى انتشارًا واسعًا يتضح من تعدد طبعاته. ومن خلال الكتاب ـ يبدو فكر المؤلف ناصعًا ورؤيته واضحة، وبخاصة لمعايب الحضارة الغربية ولأخطار تقليدها على المسلمين، ولمزايا الإسلام عليها ولأهمية التمسك بأسسه وأصوله: الكتاب والسنّة. ولمّا كان المؤلف من أبناء الغرب وأهله أحدث نقده للحضارة الغربية، وشهادته للإسلام بغض النظر عن قيمة محتواه، تأثيرًا قويًا ولاقى رواجًا وإعجابًا.

ولكن كتب المؤلف الأخرى لا تعطي الانطباع الذي يعطيه كتابه السالف، وإذا استبعدنا كتابه «الطريق إلى مكة» الذي هو قصة أدبية رائعة عن الثلاثين سنة الأولى من حياته واعتناقه الإسلام، ولا يعد كتابًا فكريًّا، فإن كتبه الأخرى[٢] تنضح بفكر عصراني خالص، حتى أن المرء لا يجانب الصواب كثيرًا إذا وصفه ـ وبخاصة في ترجمته لمعاني القرآن والحواشي والهوامش التي ضمتها الترجمة ـ بأنه نسخة أوربية لسيد خان، أعظم مفكري

---

(١) «الطريق إلى مكة» ـ محمد أسد ـ ترجمة عفيف البعلبكي (ص١٦) والإسلام على مفترق الطرق ـ محمد أسد ترجمة عمر فروخ (ص١٢ ـ ١٤).

(٢) له كتاب «منهاج الإسلام في الحكم» وترجمة لمعاني القرآن وترجمة لصحيح البخاري إلى الإنجليزية.

العصرانية المسلمين. ولا غرو فإنه لتأثره بالمادية الغربية التي لا تؤمن بما وراء المحسوس المشاهد، لم يستطع أن يتخلص من بقاياه الجاهلية، فأقبل في الإسلام على العصرانية يؤول ويفسر كل شيء في حدود عالم الحس وأذواق الغرب. ويقدم لنا محمد أسد ـ تمامًا كسيد خان ـ نموذجًا متكاملاً للفكر العصراني الإسلامي، إذ لم يقتصر فكره في دائرة واحدة من دوائر الإسلام، بل شمل العقائد والتفسير والحديث والفقه. ونقدم هنا أمثلة قليلة من ذلك.

المفتاح الأساسي لفهم القرآن في نظره هو في الآية السابعة من آل عمران ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**﴾ يقول: «فهذه الآية هي التي تجعل رسالة القرآن سهلة التناول (لقوم يتفكرون)» وهو يعرف المتشابه بأنه تلك الآيات التي جاء التعبير فيها بطريقة مجازية، والتي تتضمن معنى رمزيًا لا يمكن الإفصاح عنه مباشرة، ولو في كلمات كثيرة. أما لماذا يحتوي القرآن على المتشابه فيقول؛ لأنه يتحدث عن عالم «الغيب» ذلك العالم الذي هو وراء إدراك البشر الحسي، ولمّا كان العقل البشري لا يدرك الأشياء، ولا تكون عنده معرفة إلا من خلال تجاربه الماضية (هكذا يقول)، فلا يمكن نقل معاني «الغيب» له إلا باستعارة أمثلة وتشبيهات تؤخذ من نفس هذه التجارب، أو كما يقول الزمخشري: «تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد»، ثم يقفز من ذلك إلى النتيجة التالية «وهكذا يبين لنا القرآن بوضوح أن كثيرًا من تعبيراته وآياته يجب أن تفهم باعتبار أنها متشابهة، لسبب بسيط وهو أنها لتخاطب العقل البشري فلا يمكن أن تخاطبه بغير هذه الطريقة، فإذا أخذنا كل تعبير في القرآن وكل كلمة وكل آية بمعناها الظاهري الحرفي، وغضضنا الطرف عن احتمال أن تكون متشابهة، أو رمزًا أو مثالاً، فإننا نسيء إلى روح النص القرآني ذاته»[١].

---

(١) Asad, the Message of the Quran P. 66.989

ومن خلال اعتبار كثير من نصوص القرآن رموزًا وأمثلة، يمكن لأيّ امرئ أن يفسر ما شاء كيف شاء، ولم لا؟ فهل يمكن الادعاء أن للرمز معنى واحدًا بعينه هو المعنى المقصود دون غيره؟ وهذا ما فعله محمد أسد، فقد أوّل ما شاء كيف شاء ضاربًا بقواعد اللغة وبكثير من تفسيرات السلف عرض الحائط، ولم يتقيد بها ـ كما يقول ـ أليس من «مزايا القرآن الفذة أنه كلما ازدادت معرفتنا بهذا العالم، وازدادت تجاربنا كلما تكشفت لنا آياته عن معاني كثيرة جديدة لم تخطر من قبل» وهذا في ظاهره صحيح إذا أريد به أن معاني القرآن الأولية، يمكن أن تتسع للفهم بازدياد معرفة البشر، ولكن اتساع الفهم لا يناقض المعنى الأولي الأساسي، فهل هذا الذي يقصده محمد أسد؟ من عباراته التالية يبدو أن الذي يقصد إليه أن النص الواحد يمكن أن تكون له معاني متعددة، بل ومتناقضة حسب ثقافة المفسر المتاحة له في عصره، فهو يستمر ليقول:

«لقد أدرك أسلافنا العظماء هذه الحقيقة إدراكًا كاملاً، وفي تفسيرهم القرآن اقتربوا من نصوصه من خلال «عقولهم»، أو بعبارة أدق حاولوا شرح معاني القرآن على ضوء اللغة العربية والسنّة جنبًا إلى جنب مع المعارف العامة المتاحة لهم، مما تجمع لدى المجتمع الإنساني حتى عصرهم من تجارب وثقافة، ولهذا كان من الطبيعي أن يختلف في أحيان كثيرة فهم أحد المفسرين لآية من القرآن عن فهم من سبقوه، وقد يكون ذلك الاختلاف ـ وغالبًا ما يكون ـ حادًا وواسعًا، ويناقض بعض المفسرين بعضهم بعضًا، ولكن ذلك لم يخلق عداء بينهم، لإدراكهم لعنصر النسبية في التفكير البشري، وأنه لا أحد يبلغ الكمال[1] .

(١) نفس المصدر P. Viii

ولنأخذ مثلاً كيف يفسر محمد أسد صفات اللَّه الواردة في القرآن. يقول: «بما أن اللَّه عز وجل كائن لا تحده حدود الزمان والمكان فإن كل ما يمكننا أن ندركه عنه ما يسمى بالصفات السلبية What he is not ، أما صفاته الثبوتية فلا يمكن أن نكون عنها إلا فكرة ناقصة عن طريق استعارات وأمثلة عامة ومجملة. ولهذا فهو يعتبر هذه الصفات مجازات لا بد من تأويلها، فيقول عندما يوصف اللَّه تعالى بأنه في السماء أو أنه ﴿**على العرش استوى**﴾، فإن هذه ليست إلا أداة لغوية لتقرب لنا معنى فوق إدراك البشر، وهو قدرة اللَّه الواسعة وسلطانه القاهر فوق كل شيء. وكذلك عندما يوصف اللَّه بأنه «السميع» «البصير» فإن ذلك لا يمت بصلة إلى ظاهرة السمع والبصر العضوية، ولكنه فقط يصور بطريقة مفهومة للعقل البشري حضور اللَّه عند كل شيء وكل حدث. وكذلك كثير من الصفات التي يبدو لأول وهلة أنها تعني التجسيم، مثل الغضب والفرح والحب و﴿**نسوا اللَّه فنسيهم**﴾، وأمثالها فهي لا تعدو أن تكون «تراجم» في لغة بشرية ورموزاً لأفعال اللَّه[١].

ونفس الرموز ـ في رأي أسد ـ موجودة في وصف القرآن لليوم الآخر والحياة الثانية، والجنة والنار. وكل ما جاء من وصف لهذه ما هو إلا رموز مأخوذة من تجاربنا، فكأن القرآن يقول لنا: «تخيلوا كل ما يمكن لكم تخيله مما ينعم به الإنسان نفسيًّا وبدنيًّا، وتخيلوا نعيمًا فوق ما تتخيلون بأضعاف مضاعفة، ونعيمًا في ذات الوقت مختلفًا عن كل ما تتخيلون، فإنكم فقط حينئذ تكونون قد أدركتم لمحة وإن كانت غامضة عما يسمى «الفردوس». ونفس الأمر صادق أيضًا عن وصف القرآن للنار[٢] . وهو بذلك يعني أن وصف القرآن للجنة النار لا ينبغي أن يؤخذ على ظاهره، أو على أنه وصف

(١) نفس المصدر P. 991

(٢) نفس المصدر P. 990.991

لحقائق واقعة، بل هو مجرد تمثيل وتصوير.

وهو ينظر إلى بقية أمور الغيب والسمعيات الأخرى، مثل الجن والملائكة والمعجزات، بنفس النظرة أي أنها كلها رموز وأمثلة. وبكل «تمحل» يعطيها تفسيرات في حدود عالم الحس وليس له من دليل إلا الحدس والتخمين والخيال الواسع.

فقصة أهل الكهف ـ مثلاً ـ ونومهم لمدة ثلاثمائة عام ثم استيقاظهم يرى أنها ليست إلا «أسطورة»، واعتماداً على الاكتشاف الحديث لما سمي مخطوطات البحر الميت Dead Sea scrolls ، يرى أن المقصود بأهل الكهف مجموعة من اليهود كانت تعزل نفسها في الكهوف تفرغًا لدراسة ونقل وكتابة الصحف المقدسة. ولمّا كان الناس من حولهم يعظمونهم وينظرون إليهم نظرة قدسية، فمن المحتمل جدًّا أن يكونوا قد نسجوا حولهم بسبب عزلتهم التامة عن العالم، أسطورة النوم لمدة طويلة ثم «الاستيقاظ» بعد أن يكونوا قد أكملوا مهمتهم المقدسة. أي أن القرآن يحكي فقط أسطورة شائعة، ولكن لماذا يحكيها القرآن؟

❑ يقول: إن القرآن يستخدمها بطريقة رمزية بحته ليوضح أولاً قدرة اللَّه الكاملة على الإماتة ـ «النوم» ـ والإحياء ـ «الاستيقاظ» ويشير ثانيًا من خلالها إلى التضحية التي يمكن أن يدفع إليها الإيمان، فيعتزل قوم أتقياء العالم الفاسد نجاة من شروره[١] .

وكذلك يرى أن قصة سليمان عليه السلام التي يحكيها القرآن والمعجزات التي تصاحبها كلها كانت أساطير شائعة عند العرب وأهل الكتاب من يهود ونصارى حين نزول القرآن، ومن الممكن إعطاؤها تفسيرات «عقلية»

(١) نفس المصدر P. 438

(هكذا يقول فلديه تفسيرات جاهزة لكل شيء)، ولكن لا فائدة في ذلك؛ لأن القرآن وجد هذه الأساطير في البيئة التي نزل فيها، فحكاها كما هي دون أن يؤكد صحتها أو يدحضها فاستخدمها لأنها كانت ضاربة بجذورها في عقول الناس، ليبث من خلالها بعض مفاهيمه العقدية والأخلاقية[١] .

وإذا كانت هذه أمثلة لواحدة من وسائله لرفض المعجزات باعتبارها أساطير فقط، إلا أن في أحيان أخرى يعطيها تأويلات تبعدها أن تكون خارقة للعادة. من ذلك مثلاً قصة إبراهيم، مع الطيور الأربعة، ففي نظره أن إبراهيم لم يقتل الطيور ولم يقطعها أجزاء ثم أحياها اللّه بعد ذلك، بل كل ما في الأمر أنه علّم الطيور ودربّها على طاعته وإجابة أوامره، وهذا عنده هو معنى ﴿**فصرهن إليك**﴾، ثم إن إبراهيم وضع كل طائر على جبل، ثم حين دعاها أجابته. والمغزى من ذلك أنه إذا كانت الطيور بمثل هذا التعليم والتدريب تطيع الإنسان ولا تعصي أمره، فكذلك اللّه عز وجل الذي يطيعه كل شيء، فهو قادر على أن يحيي الموتى بأمرهم بكلمة منه «كن»[٢] .

◻ ويقول عن الحوت الذي التقم يونس عليه السلام أن القرآن يذكره بأداة التعريف «الحوت» لأن أسطورته كانت معروفة فهو بذلك حوت معروف معهود. وفي هذه المرة لا يكتفي بالقول أنه أسطورة بل يعطيه تفسيراً من تفسيراته «العقلانية» من بنات أفكاره، فيقول: مما لا شك فيه أن التقام الحوت هنا ما هو إلا رمز للغم والكرب الذي وقع فيه يونس[٣] .

ويفسر حجارة السجيل في سورة الفيل مثل تفسير محمد عبده، الذي صرح في مقدمة الكتاب أنه تأثر به كثيراً واقتبس منه في عدة

---

(١) نفس المصدر P. 498

(٢) نفس المصدر P. 59

(٣) نفس المصدر P. 691

مواطن[١] ، فسبب هلاك أصحاب الفيل كان وباء الجدري أو الحصبة، والطير الأبابيل في تفسيره هي ناقلات ذلك الوباء[٢] .

والأمثلة كثيرة ومتعددة، وبإيجاز يمكن القول أن أيّ معجزة في القرآن ضاق عقل أسد المادي عن إدراكها، راح يؤولها بهذه الجرأة وبهذا الخرص والخبط.

*** الفقه من خلال ذوقه الأوربي:**

وإذا كانت هذه نظرة أسد إلى أمور العقيدة ومنهجه في تفسيرها، فكيف ينظر إلى مسائل الفقه التي لا يستسيغها «ذوقه» الأوربي؟ ويأتي أولاً السؤال ما الذي لا يستسيغه «الذوق» الأوربي من الفقه الإسلامي ثم ننظر ثانيًا في «المنهج العلمي» الذي يقدمه أسد لتأويله ليوافق «ذوق» الغرب المتحضر.

نختار ثلاث دوائر من التي يكثر اعتراض الغرب عليها في الإسلام: وضع المرأة والحدود والربا والأمثلة عن هذه تكفي.

أما عن المرأة فنكتفي برأي أسد في الحجاب. يقول عن قوله تعالى في ذلك في سورة النور ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**﴾ أن المقصود بها «اللباس المحتشم وستر الزينة إلا ما يظهره الإنسان في العادة الجارية»[٣] ، أي العادة الجارية في مجتمعه. ويعيب على المفسرين الأوائل أنهم قصروا ما يظهر على الوجه والكفين فقط وأحيانًا أقل، ويقول أن معنى «إلا ما ظهر

---

(١) نفس المصدر P. V

(٢) نفس المصدر P. 976

(٣) هذه جملة مبتورة نسبها إلى القفال في تفسير الرازي. وعبارة القفال الكاملة هكذا «معنى الآية إلا ما يظهره الإنسان في العادة الجارية وذلك في النساء الوجه والكفان» انظر التفسير الكبير للرازي سورة النور آية ٣١ ج٢٣ ص٢٠٥ ط أولى المطبعة البهية القاهرة.

منها» أوسع من ذلك، ويرى أنه لفظ عام، وأنه بعمومه قصد منه أن يفتح المجال للتغيرات التي تحدث في حياة الإنسان الخلقية والاجتماعية في كل زمان. إن الأمر البالغ الأهمية هو في «غض البصر وحفظ الفرج» وما يحقق هذه الغاية في كل زمان هو الذي يحدد ما يعد من «الحشمة» أو ما لا يعد في مظهر الإنسان الخارجي[١]، أي أن المقياس والمعيار الأساسي هو الحشمة، وليس لذلك حدود إلا ما تحدده عادة المجتمع الجارية وليس بالضرورة أن يكون ذلك ستر ما عدا الوجه والكفين.

□ وفي مجال الحدود نأخذ مثالاً رأيه في عقوبة الحرابة، وخلاصة رأيه أن من يظن أن «العقوبات الوحشية» الواردة في الآية ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**﴾ - من يظنها عقوبات شرعية، فقد وقع في خطأ بالغ، وأن ما ذهب إليه المفسرون من أن المقصود بهذه الآية فرض عقوبات جنائية رأي مرفوض مطلقًا، مهما كانت الأسماء التي قالت بهذا الرأي كبيرة ومشهورة. ويؤكد أن الآية لا تنشئ أمرًا ولا تقصد تنفيذ طلب بل هي تقرير لحقيقة ويسوق لتأييد رأيه بعض الحجج، ومن ذلك أن الأفعال الواردة في هذه الآية «يقتلوا» «يصلبوا» «تقطع» «ينفوا» واردة بصيغة المضارع، ولا يفهم منها الأمر والطلب (وهذا مثال لأحد المواضع التي يظهر فيها ضعفه في اللغة) ومن الحجج أيضًا أن صيغة هذه الأفعال تدل على المبالغة، ويفهم هو من ذلك أن المقصود أن القتل والصلب والقطع هو لأعداد كبيرة، فهل يمكن أن يكون المقصود أن يعاقب عدد كبير من المحاربين ويعفى عن البقية؟ وكيف الحال إذا كان المقصود أن يعاقب عدد كبير من المحاربين

---

(١) المصدر السابق P. 538

ويعفى عن البقية؟ وكيف الحال إذا كان المحارب واحدًا أو فئة قليلة؟ ثم ما معنى «ينفوا من الأرض»؟ إذا كان القصد السجن فليس ذلك نفيًا من كل الأرض وإذا كان المقصود النفي من دار الإسلام فدار الإسلام ليست هي كل الأرض. ومن أقوى الأدلة عنده على أن الآية لا تقرر عقوبات شرعية، أن العقوبات الواردة فيها قد ذكرها القرآن على لسان فرعون الذي هو مثال الطغيان والشر والعدوان في القرآن، حين قال: ﴿**لأقطعن أيديكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين**﴾ فهل يعقل أن يجعل القرآن هذه عقوبات شرعية للمجتمع المسلم، وقد اعتبرها في موضع آخر جريمة نكراء من جرائم عدو اللَّه فرعون؟.

ويخلص من ذلك إلى أن التفسير الصحيح للآية أنها تقرر حقيقة، وهي أنه لا مهرب لمن يحاربون اللَّه ورسوله من العقاب الذي يجرونه على أنفسهم بأنفسهم وذلك أنه بسبب ما يحدث من الصراع بينهم، فإنهم يقتلون أنفسهم بأعداد كبيرة، ويعذبون ويشوهون بعضهم بعضًا بأعداد كبيرة، إلى الحد الذي يقطعون فيهم دابر بعضهم بعضًا أحيانًا (ينفوا من الأرض) ويرى أن هذا التفسير هو الذي يستقيم مع سياق الآية وتزول به الاعتراضات التي يعترض بها على التفسير الأول[1].

❏ وعن الربا يقول أن تعريفه لم يزل أمرًا مشكلاً للفقهاء، وأنهم عرفوه بحسب الظروف الاقتصادية السائدة في عصورهم، وأنه بالنظر إلى الاقتصاد السائد عند العرب عند نزول تحريم الربا يمكن تعريفه في ضوء ذلك عمومًا بأنه الفائدة التي تجنى من الدين استغلالاً لحاجة الفقير المحتاج، من غني قادر، وأنه بالنظر إليه من خلال ذلك يبدو أن مسألة تحديد المعاملات التي

(١) نفس المصدر P 148

يمكن أن تعتبر داخلة تحت الربا، هي مسألة أخلاقية في المقام الأول، وتعتمد أساسًا على الدوافع والبواعث التي تقوم عليها العلاقة الاجتماعية والاقتصادية بين الدائن والمدين، وإلى أيّ مدى يتحملان معًا الربح والخسارة. وذلك كما هو واضح يتغير تبعًا لتغير النمو الاقتصادي والاجتماعي والتقني، وعلى هذا فإن كل جيل من المسلمين هو الذي يضع بحسب ظروف عصره المعنى الجديد للربا والدوائر التي يشملها[١] »اهـ[٢] .

* * *

---

(١) نفس المصدر P 623

(٢) «مفهوم تجديد الدين» لبسطامي محمد سعيد (ص١٥٣ ـ ١٦١) ـ دار الدعوة ـ الكويت.